أندريه جيـــد

الأديب العالمي الكبير

للاستاذ خالص عزى

إن فكرى لا يتجه إلا إلى التنظيم ، ولى البناء ... ولكنى لا أستطيع بناء أى شئ إذا لم أختبر المواد التى أبنى بها الأفكار المترف بصحتها .. والمبادئ لا يقبلها فكرى ما لم يترف هو بصحتها .. وأنا بعد أعلم أن أكثر الألفاظ رنينا أكثرها فراغا .. إنى أرتاب فى الخطباء من ذوى الفكر الصحيح ، من الرسل الأدعياء . ولا أنفك أمتلك النفاب عن مضمون حجتهم

« أندريه جيد »

فى ليلة الأربعاء العشرين من شهر شباط المنصرم : روع العالم واهتزت الأوساط الأدبية لوفاة الكاتب العالمي الكبير (أندريه جيد) وهو لا يزال حزينا على موت الأديب الأرلندى الشهير (جورج برنارد شو)

وفى هذا المقال نقدم كاتبنا الكبير فى صورة صحيحة خالية من الرتوش ، مستوحين تلك الصورة من حاله الذى كان يعيش فيه ، ومن مقالاته ومؤلفاته التى كان ينشرها على العالم

فى عام ١٨٦٩ ولد طفل يبدو على سيماه الذكاء وتبرق على جبينه العبقرية والدهاء . كان يعيش كما يعيش غيره من أبناء فرنسا فى ذلك العهد : فترعرع فى جو يسوده عدم الاستقرار وتطغى عليه أصوات الاضطرابات ، ولم تكن الحال هكذا فى فرنسا فحسب بل شملت أغلب دول أوربا . فى هذا الجو الخانق والحياة المرتبكة راح (الطفل) أندريه يواصل دراسته حتى بذ جميع أقرانه مما أوجب اهتمام المدرسين الذين كانوا يشرفون على سير دراسته !

وعندما التحق جيد بالمدارس الثانوية لمواصلة دراسته ظهرت فكرة العبقرية التى كان يتحدث بها أساتذته أكثر وضوحا وتركيزا . فقد برزت علامات النبوغ ومخايل الذكاء عليه حتى أصبح مثلا يضرب فيه !

وبقى جيد ينهل من العلوم المختلفة والآداب قديمها وحديثها ومن اللغات زمنا غير قصير ، استوعب خلاله ثقافة واسعة شاملة كان بها عارفا فاهما فلسفة اليونان وفلسفة العصر ، بالإضافة إلى ما ذكر من العلوم والآداب . ومن الطريف الذى يذكر عن (جيد) أنه هوى الشعر ردحا من الزمن إذ راح يجول بخياله فيه ؛ فنظم قصائد تعد من القصائد الجيدة فى بابها

آراؤه :

يعتبر « أندريه جيد » من المباقرة الذين يمكن أن نطلق عليهم (المباقرة الشواذ) : إذ لا نراه إلا قلق التفكير لا يعرف الاستقرار ولا يطلب الهدوء ، ولم تكن هذه الحال بقصيرة العمر عنده ؛ بل كانت ملازمة له بالرغم عنه : ولهذا السبب نراه يتخذ من قوله الشهير دستورا له فى الحياة حيث كان ينادى دائما :

« إن كل توكيد حتى لو صدر عنى ينشئ فى نفسى على الفور الجواب الذى أنكره » من قوله هذا يتبين أنه حتى على أقواله لا يثبت ، بل ينقضها متى شاءت إرادته

لقد طلعت آراء (أندريه) ومبادئه على العالم يوم نشر أول مؤلف له .. المؤلف الذى أحدث ضجة فى وقته وقد كان عنوان ذلك الكتاب « مذكرات أندريه والتر » وذلك فى عام ١٨٩١ إذ ذاع صيته وسطع نجمه فى عالم الأدب العالمى .. ثم رانى (أندريه) بعد مؤلفه هذا النشر ولم يكن فى هذه المرة كتابا ؛ بل كان يحرر الصحف بمقالات وقصص وقصائد تحمل مبادئه وآراءه .. وكان هدفه من ذلك أن يدفع الشباب نحو ما يطلق عليه (بالضمير العقلى والثقافى) !

وقد يكون قوله الشهير الذى سنذكره مبدأ مستقلا بذاته وفيه يبرز (أندريه) اعتداده بنفسه وتفوقه الشديد بعقليته وفكره ، وهذا القول يبين فيه أنه لا يكتب إلا إلى فئة قليلة هى التى تفهمه ؛ وحتى تلك الفئة قد لا تتصورها جيد بتاتا ... إذا يا ترى لمن كان يكتب « جيد » .

إنه يجيب على ذلك بقوله الذى تحدثنا عنه « إن الذين سيفهموننى لم يولدوا بعد ، وإننى أكتب للأجيال القادمة » !

ومن معتقداته أنه يرى أن من يكتب للظروف والمناسبات إنسان مخطئ كل الخطأ .. لأنه يرى أن عمل هذا الشخص لا يدل إلا على طريقة فاشلة من طرق اغتنام الفرص . وهو يقول بأن مثل هذه الحالة هي الخطيئة بعينها، لأن الشخص سيخضع فكره وآراءه للظروف التي تصطدم به ولا يحركها هو !!

ولهذا فقد كان « جيد » لا يحب الناس الذين تخلقهم الصدفة والمناسبة ، بل كان يحب الذين يعيشون عظاما ويموتون عظاما . . لا لأن المناسبة قد أوجدت لهم تلك العظمة، بل لأنهم حقيقيون يعيشون للواقع ، ولهذا كان يجل العالم الألماني الشهير « نيتشه » وكذلك الكاتب الروسي اللامع « دستوفسكي » حيث كان يعتقد فيهما أنهما من الأحرار الذين لا يقيدهم خوف أو شفقة أو حياء ! !

لقد قلنا إن (جيد) كان شاذا قلق الفكر لا يستقر على مبدإ حتى يخرج إلى مبدإ آخر والدليل على ذلك .. أنه رفع البلشفية بوصفه لها بمقالات عدة نشرها على العالم ، إلى طبقة الحرية المثالية أو النظام الأكمل ..

ولكنه لما دعي لزيارة روسيا وعاد منها بعد زيارته لها ذمها ذما شديدا وقذفها قذفا قد يصل إلى أشنع الهجاء ، وهذا يدل على عدم الاستقرار الفكري الذي تحدثنا عنه !

ثم هذا دليل آخر على قلق المبادئ عنده؛ وهو أنه مال إلى الرمزيين في إبان شبابه وبدأ يدعو الناس إلى اعتناق مبادئهم ، ولكنه ما بين عشية وضحاها تركهم نهائيا لأنه رأى أن عنصر التشاؤم يتغلغل في نفوسهم ويكون عندهم حجابا حالك الظلام يفصل بين أرواحهم وبين الأمل المنشود

كان جيد يكره التشاؤم ويعتقد فيه الضعف، وأن الشخص الذي يتشاءم من الحياة إنما هو إنسان ضعيف الإحساس حائر الفكر ، لأنه يرى في التشاؤم محاربة للواقع واحتقارا للحياة !

وكان يكره الرمزيين — أخيرا — لأنه وجد فيهم عدم توصلهم إلى مذهب ثابت حقيق ، أو عدم تملكهم الفكرة أو المبدأ الفلسفي الصحيح !

نعم قد يكون له هذا الحق لو كان ثابتا على مبدئه .. ولكنه راح يناقض نفسه للمرة الثالثة حيث برز هذا التناقض في صورة حبه وتقديسه لمبدإ — شوبنهور — واشخصه ، بينما نحن نعرف أن شوبنهور كان من أولئك المتشائمين في الحياة ! إذن لماذا كان يقدسه « جيد » ؟ !

وكذلك نرى أنه كان يكره — هيجل — لأنه كان الشخص المفضل من قبل أصحاب المذهب الرمزي ، وجلهم من الشعراء !

وقد تثبت هذه النظرة على « جيد » أكثر تركيزا في ناحية بغضه للرمزيين وكتابته في الأدب الرمزي ونظمه في الشعر الرمزي . .

وكذلك نحن نعرف أن — جيد — كان واقعيا بينما نجده في نفس الوقت يكتب في الفلسفة الخيالية . . إذن ما هو سر هذا التناقض ؟

إن سر التناقض عند « جيد » هو « العبقرية الشاذة » أو ما نسميها به (العبقرية القلقة) ولا نضيف كثيرا على ذلك سوى أن نقول إن المبادئ التي دفعت « جيد » إلى الواقعيات في الأمور هي التي جعلته أقرب الأدباء العالميين إلى نفوس العرب وأكثرهم تحليلا لمشاكلهم

أسلوبه وكتبه :

كان أسلوب « جيد » رائعا جزلا بشهادة الكثيرين ، ولم يكن سبب ذلك أن جيد كان يجيد البيان في اللغة الفرنسية فحسب ، بل لأنه كان يخلق التعابير الجديدة الرائعة فيصوغها بأسلوب جذاب دقيق

وهو يشبه كل الشبه في لغته وأسلوبه أسلوب معالي الدكتور طه حسين باشا عميد الأدب العربي . . وكذلك كانت نفسيته بالنسبة للأدب والأسلوب والمعنى والبيان مطابقة لنفسية جيد الأدبية ومدى تذوقها للبيان السلس والجذل بنفس الوقت

إن جيد كان يميل في آدابه إلى النثر أكثر من الشعر، وكان يعتقد فيه أنه خير من الشعر بكثير ، وهذا ما أوضحه في مؤلفه

المشهور « لو كانت بذرة لا تموت »

وأهم ما يوصف به أسلوب جيد ويتميز به أنه رفيع السبك، يحلل الشخصية تحليلا دقيقا، ويصور الجانب الإنساني منها ثم يصور الحالات الأليمة أبرع تصوير

ولكنه مع كل هذا غامض مبهم لا يفهمه إلا من تعمق في آرائه ومعتقداته، ودرس كتبه ومقالاته درسا وافيا

ولقد كان « جيد » يميل إلى كتابة القصة القصيرة أكثر من ميله إلى القصة الطويلة ، ولكنه مع هذا قد قدم إلينا أكثر من قصة طويلة ولو أنها كانت خارج استعداده وميوله (كما يقولون) !

إن أهم مؤلفات « جيد » هي ما كانت تدور حول النواحي القصصية والروائية : وقد تكون أشهر كتبه التي طلع بها على العالم هي : —

١ — السمفونية الريفية

٢ — الباب الضيق

٣ — مذكرات أندريه والتر

٤ — لو كانت بذرة لا تموت

٥ — أوديب وتسيوس

وقد فاز أندريه جيد بجائزة نوبل العالمية لفرع الآداب ١٩٤٧ ، فاتجه إليه نظار الأدباء والمثقفين حيث راحوا يوالون درس مؤلفاته ومقالاته . . حتى أن الدكتور طه باشا حسين وتوفيق بك الحكيم كتبا عنه مقالات شاملة بينا فيها مقدرة « جيد » الأدبية ومنزلته العلمية وعلمه الفريد

ولقد كتب عنه الأستاذ نزيه الحكيم وترجم له كتاب « الباب الضيق » فجاء تحفة نادرة سدت فراغا في المكتبة العربية

وجيد بعد كل هذا الذي بيناه ، صريح كل الصراحة . حتى أنه لا يتريه الخجل وهو يسرد قصة حياته الخاصة عن طريق مؤلفاته ، ذاكرا فيها كل شيء عما قام به من مغامرات شخصية وعلاقات دارت حوادثها مع الزمن في إبان شبابه ، وبصورة واضحة مع فتيات باريس اللواتي كن ينظرن إليه نظرات الإعجاب والإكبار ! أو كما يقول أحد الأدباء في وصف ما قاله جيد عن حياته الخاصة « يجمل بالشباب أن يتجنبوا قراءتها » ! !

وجيد مع ذلك كان يكره الحب الجسدي ويعشق الروح لأنه أسمى عنده وأثبت، وشذوذه من هذه الناحية جنى عليه حتى حرمه من دخول الأكاديمية الفرنسية التي تضم أربعين شخصية خالدة

هذا هو أندريه جيد الكاتب الفرنسي الشهير الذي توفي ليلة الأربعاء في العشرين من شباط بعد أن بلغ الحادية والثمانين من العمر .. قضاها في سبيل الرفع من قيم الإنسانية المعذبة

بغداد خالص عزمي

رفائيل

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

إحدى روائع القصص العالمي الواقعي
لشاعر فرنسا الخالد « لامرتين »

قص فيها بأسلوبه الشعري تاريخ فترة من شبابه تدفق فيها حسه بالجمال وفاض بها شعوره بالحب ... وهي كآلام « فرتر » في دقة الترجمة وقوة الأسلوب ... طبعت أربع مرات وثمنها ٢٥ قرشا عدا أجرة البريد